

الجلسة 16

الدرس السادس عشر

هل كان هناك اجتهاد في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) ؟

عندما نراجع كتب التاريخ، نرى أن المؤرخين يصرّون على وجود اجتهاد من قبل المسلمين في زمن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله)، وقد ذكروا لذلك بعض الموارد أيضاً كما وردت في كتاب «ادوار علم الفقه واطواره»، وهي:

المورد الأول:

بعد أن انتهت معركة الأحزاب، أمر النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) جميع المسلمين أن لا يقيموا صلاة العصر إلا في بني قريضة، وقد ذكر المؤرخون أن المسلمين صاروا جماعتين، فجماعة توجهوا إلى دور بني قريضة حتى فاتتهم صلاة العصر حيث وصلوا هناك وقد غربت الشمس وصلوها قضاءً، وجماعة أخرى صلوا صلاة العصر في الطريق أداءً ثم أكملوا مسیرتهم إلى بني قريضة، وأخبروا النبي بذلك فلم ينكر على أحد منهم، وهذا يعني أن هذه الطائفة من المسلمين اجتهدوا في صلاتهم لأن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان قد نهاهم عن الصلاة إلا في بني قريضة، وكذلك اجتهدوا

صفحه 52

أفراد الطائفة الأولى حيث لم يتوقفوا في الطريق للصلوة.

المناقشة:

هل كان تصرف هؤلاء اجتهاداً منهم واقعاً؟

الجواب: هنا يمكن الإجابة عن هذا التوهم بعدة أجوبة، رغم أن هذا البحث هو بحث تاريخي إلا أنه يرتبط بما نحن فيه:

الجواب الأول: أن يقال بأن هذه القضية هي قضية خارجية، والاجتهاد لا يرد في القضايا الخارجية اطلاقاً، لأن الاجتهاد عبارة عن استنباط الأحكام الكلية ولا دخل له في القضايا الخاصة الخارجية من قبيل أن يقول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) : لا تشربوا من هذا الماء لمدة ساعتين، فسواء شرب بعضهم أو لم يشرب فان ذلك لا علاقة له بالاجتهاد.

الجواب الثاني: لابد أن نرى الغرض الذي كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) يهدف إليه، فلم يكن غرضه أن يقف المسلمين للصلوة ويضيّعون الوقت حتى ينتبه بنو قريضة ويستعدوا للأمر، فعندما قال لهم الرسول: «لا تصلوا إلا في بني قريضة» كان يهدف إلى المسارعة وحث المسلمين على الالسراع في الوصول إلى بنو قريضة، غاية الأمر أن جماعة رأوا أنهم لو صلوا في الطريق فسوف لن يصلوا بسرعة إلى بنو قريضة فلم يصلوا، وجماعة أخرى رأوا خلاف ذلك، فالاختلاف هنا في تشخيص المصدق وهو

تشخيص موضوعي وليس من الاجتهاد.

المورد الثاني:

اجتهاد «سعد بن معاذ» بعدهما وقع يهود بنى قريظة اسرى بيد المسلمين وجعلوا حكمهم بيد سعد بن معاذ الذي حكم بقتل رجالهم وسبى نسائهم

صفحه 53

وذاريهم، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآلـه) : «لقد حكمت فيهم بحكم الله...»⁽¹⁾، وقد صرـح في كتاب «الاجـهاد ومـدى حاجـتنا إلـيـه» أنـ سـعدـاً اـجـهـادـهـ هـنـاـ.

ولـكـنـ هـلـ أـنـ سـعدـاً اـجـهـادـ وـاقـعـاـ فيـ هـذـاـ المـوـرـدـ، أوـ أـنـهـ عـمـلـ عـلـىـ طـبـقـ الآـيـةـ الشـرـيفـةـ: (إـنـمـاـ جـزـاءـ الـذـيـنـ يـحـارـبـونـ اللهـ وـرـسـوـلـهـ وـيـسـعـونـ فـيـ الـأـرـضـ فـسـادـاـ أـنـ يـقـتـلـوـ أـنـ يـصـلـبـوـ أـنـ تـقـطـعـ أـيـدـيـهـمـ وـأـرـجـلـهـمـ مـنـ خـلـافـ أـنـ يـنـفـوـنـ مـنـ الـأـرـضـ ذـلـكـ لـهـمـ خـزـنـ فـيـ الدـنـيـاـ وـلـهـمـ فـيـ الـأـخـرـةـ عـذـابـ عـظـيمـ)⁽²⁾.

الـصـحـيـحـ أـنـ سـعدـ بـنـ مـعـاذـ حـكـمـ عـلـىـ طـبـقـ الآـيـةـ الشـرـيفـةـ، وـهـوـ لـيـسـ مـنـ الـاجـهـادـ فـيـ شـيـءـ.

المورد الثالث:

ذـكـرـواـ أـيـضاـ اـجـهـادـ عـمـرـ وـعـمـارـ بـنـ يـاسـرـ فـيـ مـسـأـلـةـ التـيـمـ، فـقـدـ وـرـدـ فـيـ كـتـبـ التـارـيـخـ أـنـ عـمـرـ وـعـمـارـ اـصـطـحـبـاـ فـيـ سـفـرـ فـاـصـابـتـهـمـ جـنـابـةـ فـنـزـعـ عـمـارـ ثـيـابـهـ وـتـمـرـغـ فـيـ التـرـابـ وـصـلـىـ، أـمـاـ عـمـرـ فـلـنـ يـصـلـ، ثـمـ جـاءـ إـلـىـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) وـحـكـىـ عـمـارـ ماـ جـرـىـ لـهـمـ فـيـ الطـرـيقـ، فـقـالـ لـهـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) (ماـزـحـاـ): لـقـدـ فـعـلـتـ فـعـلـةـ الدـوـابـ، ثـمـ قـالـ لـهـ بـأـنـهـ لـاـ فـرـقـ فـيـ التـيـمـ بـيـنـ مـاـ كـانـ بـدـلـ الـوـضـوـءـ وـمـاـ كـانـ بـدـلـ الـغـسـلـ.

هـنـاـ ذـكـرـواـ بـأـنـ عـمـارـ اـجـهـادـ فـيـ كـيـفـيـةـ الـتـيـمـ، وـتـصـوـرـ أـنـ التـيـمـ إـذـ كـانـ بـدـلـ الـغـسـلـ فـيـجـبـ أـنـ يـمـسـ جـمـيعـ بـدـنـهـ التـرـابـ، وـقـدـ رـأـيـنـاـ أـنـ النـبـيـ الـأـكـرـمـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) لـمـ يـقـرـهـ عـلـىـ هـذـاـ الـاجـهـادـ.

ولـكـنـ أـيـنـ هـذـاـ مـنـ الـاجـهـادـ؟

الـجـوابـ: أـوـلـاـ: إـنـ هـذـاـ الـاجـهـادـ وـقـعـ مـرـفـوـضـاـ مـنـ قـبـلـ النـبـيـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) ، وـالـمـفـرـوضـ فـيـ مـوـرـدـ الـبـحـثـ أـنـ يـقـعـ الـاجـهـادـ مـقـبـلـاـ لـيـصـحـ الـرـجـوعـ إـلـيـهـ وـالـاسـتـدـلـالـ بـهـ.

1 - الكامل، لـابـنـ الأـثـيـرـ، جـ2ـ، صـ127ـ غـزـوـةـ بـنـيـ قـرـيـظـةـ.

2 - سـوـرـةـ الـمـائـدـةـ، الآـيـةـ 33ـ.

صفحه 54

ثـانـيـاـ: أـنـ لـيـسـ مـنـ الـاجـهـادـ اـطـلـاقـاـ، بلـ هـوـ قـيـاسـ كـيـفـيـةـ التـيـمـ فـيـ الـغـسـلـ عـلـىـ كـيـفـيـةـ التـيـمـ فـيـ الـوـضـوـءـ، وـبـعـبـارـةـ أـخـرـىـ: إـنـ عـمـارـ كـانـ جـاهـلـاـ بـكـيـفـيـةـ التـيـمـ بـدـلـاـ عـنـ الـغـسـلـ وـتـصـوـرـ أـنـهـ لـوـ مـرـغـ نـفـسـهـ فـيـ التـرـابـ لـأـجـزـىـ عـنـ الـغـسـلـ، وـلـوـ لـمـ يـكـنـ جـاهـلـاـ وـكـانـ الـاجـهـادـ صـحـيـحاـ وـمـشـرـوـعاـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ، فـلـاـ حـاجـةـ اـذـنـ إـلـىـ سـؤـالـهـ مـنـ رـسـوـلـ اللهـ (صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـآلـهـ) عـنـ صـحـةـ مـاـ قـامـ بـهـ.